د. عمر الكرمة

أهازيجُ الربيع

نصوص وخواطر

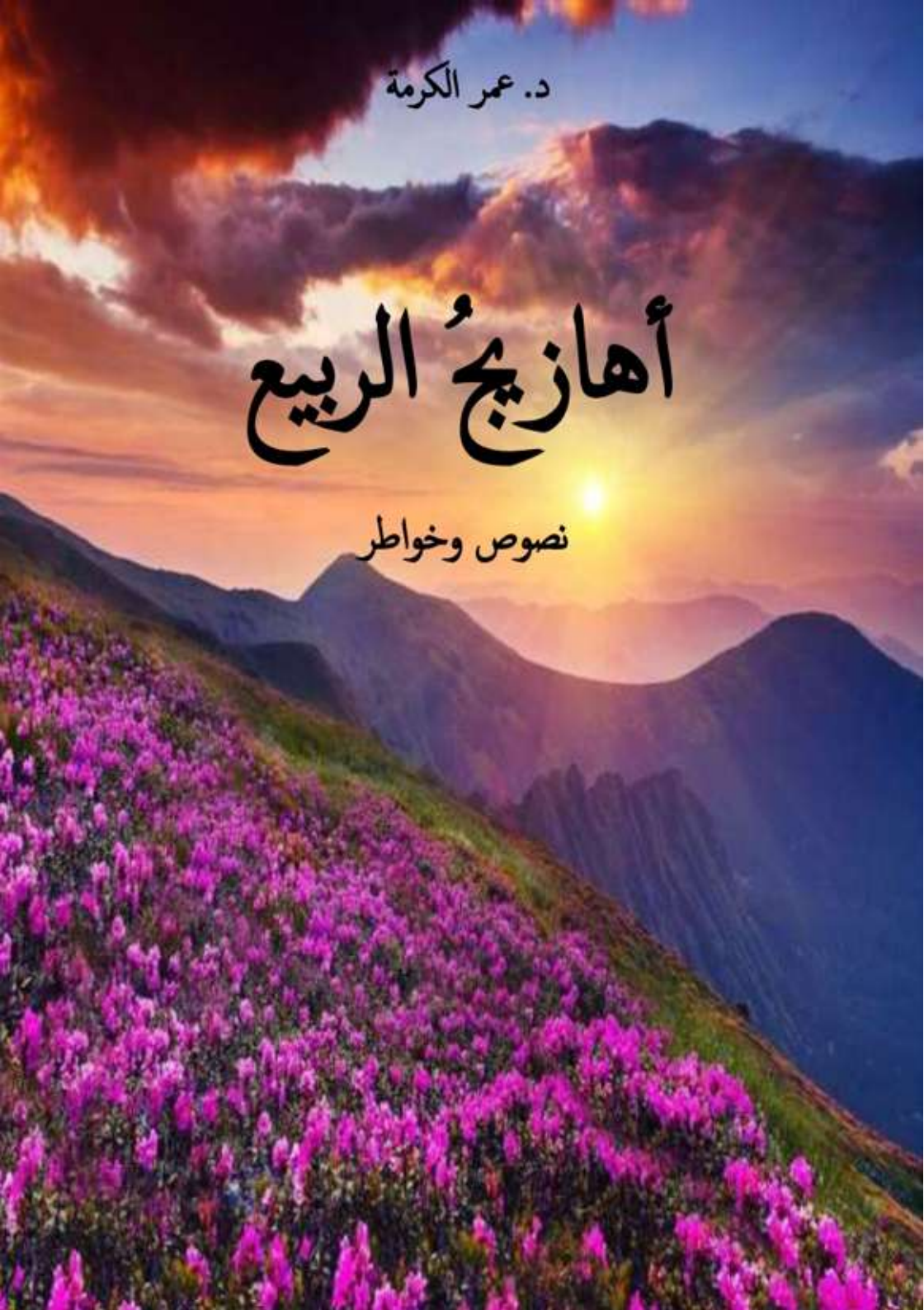

أهازيجُ الربيع

د. عمر الكرمة

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكلٍ من الأشكال، أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونيةٍ أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغةٍ أخرى دون الحصول على موافقة المؤلّف والناشر مقدمًا.

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any way from or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the author and the editor.

- **الكتاب: أهازيـجُ الربيع**
- **المؤلف: د. عمر الكرمة**
- **نوع العمل: نصوص وخواطر**
- **مراجعة لغوية وتدقيق: الأستاذ عبد الباسط الحرشي**
- **الطبعة الأولى: 1447 هجري - 2025 ميلادي، المغرب**
- **رقم الإيداع: 2025MO4948**
- **الترقيم الدولي:978-9920-24-664-4**

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار أو أحداث أو آراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

جميعُ الحقُوقِ محفوظَة

إهداء

إلى تلك المُسنَّة التي التقيتُها عند بابِ محطَّة القطار،

إلى تلك التي علّمتني درسًا لن أنساه في التعفُّف والأنفة وعِزة النفس،

إليكِ أُهدي هذا الكتاب!

مقدمة

تلك الخواطرُ التي تنزل على الفؤادِ فتترك فيه

أثرًا طيّبًا لم يعرفه من قبل،

لابدّ للمرء أن يتأملها ويستشعر معانيها

ويستطيب فحواها التي لا تزيده إلا طمأنينةً وسكينة!

عند تفتح الأزهار

1

في صغرنا
عندما كان يجنُّ الليلُ
ويبسط رداءه
ونحن نلعب خارجًا
كان كلٌّ منا يركض تجاه
بيته دون سابق إنذار!

2

ما أجمل أن يوفقك ربك
للوقوفِ بين يديه في جوفِ
الليل وفي ثلثه الأخير
وغيرك من الناس في
سباتٍ عميق فتتذللُ
راغبًا راجيًا ما عنده
من مغفرةٍ ورحمات!

3

أن تحيا طيِّبًا سمحًا

تغدق من حولك بمحبتك

وتُيتِّمهم بأخلاقك ودماثة

ديدنك ورُقيٌّ تصرفاتك

هي نعمةٌ لا يستشعرُ الناس

عظمتها ولا حتى شيئًا من قيمتها!

4

من شدّة براءتنا في الصغر
كنا لا نكتفي بتقبيل أيادي
آبائنا مرةً واحدة
بل كنا نغدقهم قبلاتٍ
على الرأس والكفين تعبيرًا
منّا عن الحبِّ والامتنان!

5

في طفولتنا كنا نتسابق إذا
ما التقينا معلّمينا خارجَ أسوار
المدرسة لنقبّل أياديهم
ونفوز بشرف البِرِّ بهم!

6

بُعيْد كل صلاةٍ في المسجد
كنت أتعمَّد إطالة الجلوس
وإن كنتُ على عجلةٍ من أمري
لأني لطالما أحببتُ أن أطيل المكوث
في مجلسٍ تستغفر لي فيه الملائكة

7

لطالما تساءلتُ عن مدى
فرحة "عليٍّ بن أبي طالب" رضي الله عنه
حين استلم الرّاية يوم خَيبر
تلك الراية التي قال عنها الرسول ﷺ:
"لأعطينَّ هذه الرّاية غدًا رجلًا يفتح اللَّهُ على يديه،
يحبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويحبّهُ اللّهُ ورسولهُ"

8

أوصِني يا صاحبي!

"إن أحببتَ شخصًا فأخبره

فلا تدري هل تتيح لك باقي

الأيام فرصةً لتبوح له بما في جوفك

فيظل ذلك كالنار داخلك!

تلتهمك كما تلتهم الأخضر واليابس!"

9

مازلتُ أتعجّب من الأدب الجمِّ
الذي كان يخاطب به سيدنا
أيوب -عليه السّلام- ربَّه وهو في
أوج ضرائه وابتلائه!
من شدّة المرض؛
وفقدِ الولد؛
وقلّة الحيلة؛
فاكتفى قائلًا:
"ربِّ إني مسّني الضّر!"

10

كنت دائما أتصبّر على
الأيام الصعبةِ الشاقة التي
تثقل الكواهل وتشيِّبُ الولدان قائلًا:
"هي مجرد أيامٍ وستمضي!"
فلما مضت أدركتُ أنها كانت العمر
الذي كان ينبغي لي أن أتعايش
مع حلوه ومره
يسره وعسره
رخائه وشدّته...

11

إذا رُزِقت بصديقٍ صدوقٍ
يحفظ سرك ويحمي ظهرك
ويذكُرك بخيرٍ في غيابك
فاعلم أنك رُزقت الخير الكثير
فلا تدّخر غاليًا ولا رخيصًا
في سبيلِ الحفاظ على صداقته!

12

تلك الصّفعات التي كان يجود بها
معلّمونا علينا في طفولتنا
حال ما فرطنا في دراستنا
أو حال ما انتهكنا حُرمة من الحرمات
كانت أكثر شيءٍ دفعنا
لأن نتعلم الالتزام والمواظبة!

13

ما مررتُ بقبر فنظرت

إلى ترابه إلا تذكرت حالَ

الناس في الدنيا وهم يتسابقون

وراءها كأنها دائمةٌ لهم!

بينما يغفلون عن الباقية

التي لا يُلقي لها بالًا غير

أولي النُّهى من الناس!

14

كأس شايٍ أتنعم بلذة حلاوته
حين غروب الشّمس وهي
تبسُط خيوطَها الذهبية الحمراء
وأنا أتأمل عظمة هذا الخلق
لأستوعب شيئًا من عظمة الخالق
من أجملِ اللّحظاتِ التي عِشتها!

15

كان أول ما أقوم بهِ حين عودتي
من غيبتي إلى المنزل أيامَ دراستي
الجامعية هو الجري نحو أمّي
لأرتمي بحضنها وأستشعر شيئًا
من حنين أيام الطّفولة الجميلة!

16

كان ومازال يؤسفني
أن أَلِج المسجد فإذا ما وجدته
ممتلئًا عن آخره استيقنتُ
بأن صلاة جنازةٍ ستُقام!

اللهم اهدِ قلوبنا لبيوتك

17

كلما سمعتُ بمُصاب أحدهم
في صحته إلا وأصاب فؤادي
الوجع لما تأسفت من أجله!
فنعمة الصّحة والعافية،
من النعم المغبون فيها الكثير من الناس
والتي لا يدرون شأنها وقيمتها
إلا بعد أن يُبتلوا بفقدانها!

18

أن تحيا على أرضٍ ينخرُها
الجهل والتخلف حتى نخاعها
هو ضربٌ من ضروب العذاب،
أن تعيش بين أقوامٍ كل همّهم
أن يأكلوا ويشربوا ويرتعوا فقط
كحال الدوابِّ هو أمر لا تطيقه النفوس
إلا عن كراهيةٍ وقلّة حيلة!

19

وهل نستوعبُ حكمة الخالق
في أقداره وتصرفاته في ملكوته
وعقولنا لا تعدوا أن تكون مجردَ
آلياتٍ لا تتطرق إلا لظاهر الأمور
وتجهل جهلًا تاما غيبيّاتها!
فلو كُشِف للمرء الحجاب ونظر
لعجيبِ تدبير ربنا لأمور مخلوقاته
لبكى دون انقطاع!

20

كان ﷺ يوصي بالنساء خيرا

وهو على فراشِ موته،

لأنه كان يعلم ﷺ قيمة المرأة

في النهوض بالأسرة!

فهي من دون شكّ ذاك النصف

من المجتمع الذي لابدّ منه

لقيام النصفِ الآخر!

21

ذات مرة سألتُ شيخًا

تبدو على ملامحهِ معالم

الحكمة والاتعاظ،

فقلت له:

"يا عمّ؛ أوصني!"

فردَّ قائلًا:

"إن صاحبتَ فلا تصاحب إلا

الصّديق الصّادق الصّدوق!"

22

تلك الأوراقُ المتساقطة عن
أغصانها أيام فصلِ الربيع
تكاد تسمع نشيجَ بكائها
لمفارقتها تلك الأغصان
التي تربت وترعرعت في
أكنافها ثم أُرغِمت أن ترحل
عنها دون عودة!

23

وكم أحببتُ أن أجالس البحر
على ضفافه وأشكي له همّي
وأفرغ صدري من تباريحه
وأشجانه وآلامه...
فلا أنهض إلا منشرح الصدر
خالي البالِ مطمئنَّ النفس،
وكأن شيئًا لم يُلم بي!

24

مشاعرُ الحبِّ الصادقة التي
تنبع من أعماق القلوب
لا تخطئ أبدا!
لأن الذي يستطيع ولوج الأعماقِ
لا يمكن أن يكون كاذبًا أو متصنعًا!

25

آباؤنا وأمهاتنا

بسماتهم، ضحكاتهم، نبرات أصواتِهم...

أشياء حُفِرت في ذاكرتنا

ولن تنمحي منها مهما

قسا عليها الزمان!

26

تسألني من تصاحب؟

فأردُّ عليك يا صاحبي:

"صاحِب القرآنَ واغتنم رفقته

في دروب حياتك

فهو الصّديق الذي يُنير دروبك

في دُنياك وحتى في آخرتك

وهو الرفيق الذي يأخذ بيدك

يوم لا خلَّ ولا صاحب!"

27

من أحبِّ اللحظات إلى قلبِ
المرء المسلم وأطيبها
هي حين سجوده بين يدي ربه
يدعوه ويتبتل إليه وهو
أقربُ ما يكون إليه!

28

وما أجمل شيءٍ تتمناه يا صاحبي؟

تلك السُّقيا من كفِّ الحبيبِ ﷺ

على ضِفاف نهر الكوثر

وتلك النعمة التي ما بعدها نعمة!

أن يجعلكَ ربك ممن يتمتّع بنعيمِ

النظر إلى وجههِ في أعلى الجنان!

29

دروب هذه الدنيا شاقةٌ

على قلب المرء

تهدُّ فؤاده هدًّا

وتعصف به عصفًا

حتى لا يلقى من يجبر

بخاطره سوى ربه

ولا مِن بلسمٍ لجراحه إلا

في كنفه وبين يديه

30

أن تُهدى لطاعات غفل عنها

الكثير من الناس غيرك يا صاحبي

تقوم ليلَك وتحييه

وتصوم نهارك

وتنفق مما تحبُّ

هو بالأمر الجلل الذي لم يُهدَ

إليه كثيرٌ من الناس

فلا تستصغر ما وجبَ تعظيمه

وشُكره حق الشُّكر!

عند زقزقاتِ العصافير

31

تلك اللحظاتُ من زمن
الطُّفولة الجميل
حين كنا نتسابق للعودة
من مدارسِنا إلى بيوتنا
فيفوز منا من يطرق
باب بيته أولا
هي ذكرياتٌ لن تمحوها
الأيّام ما حيينا!

32

شايُ أمّي وقهوتها

خبزها ورغيفُها

حلوياتها ومملحاتها

لم ولن أذوق أبدًا

ما يُضاهيها لذّة!

33

إذا ما ضاقت عليكَ دنياك
واشتدت كما لم يسبق لها قبلُ
لُذ بربك الذي لا يرد عبدًا أتاه
راغبًا راجيًا فيما عنده
من فواتح الرزق!

34

أن تحيا حياة طيبةً

في كنف ربك

ورحابِ طاعته وظلال

عبادته ومغفرته

من جميل ما قد يوفق له

المرء في حياته

35

حدثني بشيء يزيدني
لهفةً وشوقا للجنة يا صاحبي!
"فيها من بُعث رحمةً للعالمين
فيها رسول الله ﷺ"

36

وما أحبُّ شيء تدعو
الله عز وجل أن يكتبه لك
يا صاحبي؟
"سُقيا من كفِّ الحبيب ﷺ
على ضفاف نهر الكوثر
ونعمة النظر إلى وجهه عز وجل
في أعلى الجنان
حيث لا تعب ولا نصب!
فقط روحٌ وريحان
وربٌّ راضٍ غير غضبان!"

37

عندما تتثاقلُ نفسك في الطاعة

وتحبِّبُ إليك الكسل

والتهاون في العبادة

فذكِّرها بما سيفوتها يوم يُؤتى الناس

كتبهم بأيمانهم وتؤتى

هي كتابها بشمالها!

38

تلك الصّدقات التي تؤتيها
من هم في أمسِّ الحاجة لها
ليست أموالًا نقصت من رصيدك
بل هي رزقٌ ادّخرتهُ لذاك اليوم
الذي يفرُّ المرء من أهله وصَحبه!
لذاك اليوم الذي لن ينفعك
إلا عملك الصّالح!

39

ذاك الصاحبُ الذي يربّت
كتفك وقت الشّدة
ويشدُّ عضدك وقت الحاجة
ويجبر خاطرك عند الأحزان
ويُحيي روحك التي أعياها الزمان
لا تفرط به أبدًا يا صاحبي!

40

وكيف للمرء أن ينسى تلك الأرواحَ
التي أَلِف وجوهها واعتاد رفقتها
فإذ بها بين ليلةٍ وضحاها
تُوارى التراب حتى صارت مجرد
ذكرى تسري على الألسنِ
وتسكن الأفئدة!

41

وأن تعيش بعيدًا عن ربك

هو ضربٌ من ضروب المشقة يا صاحبي

فالرّوح لا تسكنُ ولا تطمئنُّ إلا

بجوار ربها الذي فطرها وأنشأها وأحياها!

ثم إني لأعجبُ من الرجل يُدعى

إلى ظلال الطاعة فيرفض ويتعنّت

وينغمس في مستنقعاتِ المعاصي

ويأمل بعد ذلك أن يحيا حياةً طيبة!

42

وكم تمنينا لو سارت

بنا الأقدارُ كما نشتهي

وقد نذرف الدموع على ما فاتنا!

وإذا ما رُفِع الحجاب عن لُطف

تدبير ربنا لشؤوننا لسجدنا

شكرًا له لا نبتغي إلا رضاه ورحمته!

43

ولتعلم يا صاحبي أن
الحياة الدنيا ما هي
إلا دارُ تعبٍ وشقاء
وأن الدار الآخرة هي دار البقاء
فهل لذي النُّهية أن يُضحي
بالباقية رغبةً في الفانية!

44

ما أطيَبها من أيامٍ كانت!
أيُّ أيامٍ يا صاحبي؟
"تلك التي كنا نتدارسُ فيها
كتابَ الله في الكتاتيبِ
على أيدي معلّمينا فيشتد بيننا
التنافسُ أينا يكون أشد
إتقانًا لحفظ آيِ القرآن!"

45

حروفهُ تداعب القلب فتُخلصه
من أشجانه وكلماته تترنم
على المسامعِ فتُحلق بصاحبها
إلى تلك الطمأنينةِ التي لا يجدها
المرء إلا بين طياته وفي ثناياه!
أتدرون ما هو؟
"هو كتابُ ربي بلا ريب!"

46

وتتوالى عليك الكسور والعثراتُ
حتى تظن أنه لا انفراج لما أنت
فيهِ من عقابيل!
فيأتيك فرجُ ربك فجأةً
من حيث لا تدري
ويغدقك بالمسرّات والنِّعم!

47

عجِبتُ لمن يخشى الفقر

وهو عبد الغني

وعجِبتُ لمن يخشى المرض

وهو عبد الشّافي

وعجِبتُ لمن يخاف الكسور والعثرات

وهو عبد الجبّار

وعجِبتُ أشدَّ من عجبي لهؤلاء

لمن يخشى الموتَ

وهو عبد الرّحمان الرّحيم!

48

ثم لا تدري أكان ما فاتك
يحمل في طيّاته خيرًا أم لا!
لكنك موقنٌ أنَّ الذي يُخبّئه
لك ربكَ لا تسعُ فرحته
ما بين السّماء والأرض!

49

ثم تظنها نهايةَ طريقٍ مسدود
لا منفذ منه،
فيفاجئك ربك بذاك البصيصِ
الخافتِ من النور
الذي يقودك إلى نجاتك!

50

وإن للنّفس في هاته الدنيا لزلاتٍ
وسقطاتٍ مدوية شديدٌ وقعها
لا يستطيع المرءُ بعدها قياما
إلا إذا لجأ لربه متذللًا راجيا راغبا
فيما عنده من رحماتٍ ومغفرة!

51

في بعضِ الأحيان يا صاحبي
تكون محاولةُ إثباتك لنفسك
مجرد انتقاصٍ في حقك لا أكثر
فكم من ذليلٍ رُفع قدره
وكم من عزيزٍ ذلَّ شأنه
لا لشيء لكن لجهلٍ أقام
للذليل شأنًا
وأقعد للعزيز قدرًا!

52

كلام أجدادِنا وأحاديثهم

أمثالهم وحكمهم

كالبلسمِ الذي يداوي

الجراح ويرفع الأتراح

ولا يدع لك غمًّا

إلا أنساك أمره!

53

على قدرِ إحسانك للناس
يأتيك ربك بمن يُحسن إليك
وعلى قدرِ حبك الخير للناس
يسوق لك ربك خيرًا لم
تكن تخاله يومًا بالغك!
فأصلح تلك المُضغة التي
في صدرك يُصلح لك
ربُّك أحوالك!

54

أن تجعل لسانكَ رطبا

بذكر الله آناء الليل

وأطراف النهار

تسبح وتهلل وتحمد

وتعظم ربَّك هي

بالنعمة التي لم تُحيَّز

لكافة الناس والتي

لا يدري معظمهم

قيمتها ولا شأنها!

55

ذاك الصديقُ الذي تجده
معك في مواضعِ الشدة
يربّتُ كتفيك
ويطبطبُ على رأسك
ويداوي جراحك
ويُلملم شتاتك
لا تُفرط به يا صاحبي
ولا تسألني لماذا!

56

تسألني عن أولى
الناس بالرفقة يا أُخي
أجيبك بكل بساطة:
"هم الذين تستحي أن
تقترفَ بينهم ذنبًا
وتفخرُ بأن تقيم
بينهم طاعةً
أو تصنع معروفًا"

57

في صغري كنت دائمًا
أخشى على والدي
من أن يصيبهُ مرض
أو ينزل به خطبٌ
يضر به لأني كنت
أعلم تمام العلم
أنه قبطانُ سفينة عائلتنا!

58

وأنت تجولُ دنياك

وتبحث عن رزقك

وتعمل له مسبباته

لا تنس أبدًا يا صاحبي

أن تبني أُخراك في الوقت ذاته

أن تعمل لدنياك وتكسب لقمة

عيشٍ تُغنيك عن مدِّ يدك لغيرك

هو الشيء الذي لا غنى عنه

لكن لا ينبغي له أبدًا

أن يُنسيك دار البقاء والمُستقر

دار الخلود التي هي

إما نعيمٌ أو جحيم!

59

من أشدِّ أنواع الابتلاءاتِ

أن تُبتلى بقليل أدبٍ

ثقيل فهمٍ

غليظ طبعٍ

يرى نفسه أفضل خلق الله

وهو أرذلهُم!

60

تلك الليلةُ التي حملت
أمّي فيها إلى المستعجلاتِ
لخطبٍ أصاب صِحتها
كانت من أشدِّ اللّيالي وقعًا
على نفسي طيلةَ حياتي!

عند إطلالةِ شمسها

الذهبية

61

ذاك اليوم الذي كانت
أمي في غرفةِ العمليات
تحت التخدير العام أحسستُ
بروحي تائهة وسط ظلمة
حالكةٍ لا أدري فيها
يمناي عن يسراي!

62

هكذا هي الدنيا يا صاحبي

تسرك وكأنها لم

تحزنك يومًا!

وتحزنك وكأنها

لم تسرك يومًا!

فلا السّراء دائمةٌ

ولا الضّراء باقيةٌ

هي دار شقاء وتعب

إنما جُعلت لتُبنى بها

دار الهناءِ والرخاء!

63

كان أحدُ أساتذتنا

يوصينا كثيرًا في صغرنا

بِبِر آبائنا والإحسانِ إليهم

في كل فرصة تتاح لنا

لما بُليت بفقد أبي

أدركت تمام الإدراك

حقّ وصيّته!

64

كلما ضاقت عليك الدنيا

يا صاحبي وابتُليت بلاء

لا ترى منه مخرجا!

توجه إلى الله في أقربِ

مسجد وارفع أكفَّ الضراعة

إليه وسترى من الفواتحِ عجبا!

65

تلك اللّحظاتُ التي تُقام
خلالها الصّلاة داخل المسجد
فيصطفُّ الناس الواحد
جنبَ الآخر وهم مُقبلون
على ربهم من أجمل ما يعيشه
المرء المسلمُ في حياته!

66

عندما تُوفي والدي لم
أستطع ولوجَ غرفة نومه
لمدة طويلة من الزمن
كنت كلما نظرت إلى
ملابسه، نظاراته، ساعته، حذائه...
إلا انتابني حنينٌ وشوقٌ
يهدُّ فؤادي هدًّا
إلى تلك الأيام الجميلة
التي كنا نجده فيها بيننا

67

وهل للمرء من طمأنينةٍ لوجدانه
بعيدا عن ربه في دروبِ
المعاصي ومستنقعاتها!
وهل لذي النهية من الناس
أن يحيا مطمئنَّ البال مرتاحهُ
في غير ما أحلَّ له ربه!

68

لسانك يا صاحبي!

ما به؟

فلتعلم أنه ما ضرَّ الناس

في دُنياهم وأُخراهم

من شيء بقدر ما ضرَّهم ما

ارتكبته جوارحهم في حق غيرهم

وعلى رأسها تلك المضغة

من اللحم في جوف فمه

فهي إما نجاةٌ إلى الجنة

أو هلاكٌ في النار!

69

وما يُدريك يا صاحبي
لعل ربك يُخفي لك
في قادم الأيام ما
يشفي قلبك
ويُحيي روحك
ويجبر خاطرك
ويُلملِم شتاتك
بعد كل ما قاسيته من
شدة وعذاب!

70

هيا بنا يا صاحبي

إلى أين؟

إلى المسجد!

حيثُ راحة الروح وطُمأنينتها

حيث ننهلُ من ينابيع

الرحمة والمغفرة

حيث ينسى المرء الدنيا وهمومها

حيث لا كلمةَ تعلو سوى كلمة:

"لا إله إلا الله"

71

والداك يا صاحبي

ما بهما؟

كُن لهما الرفيق والصّاحب والسند

كُن لهما الملجأ والمأوى

أغدقهُما بالبرِّ في دُنياهما وأُخراهما

واعلم أنك ستُسقى يومًا

من نفسِ الكأس الذي سقيتهما منه

فبِرُّ أبنائك بك غدًا

هو نفس برّك بوالديك اليوم!

72

ما أقسى تلك اللّحظات التي
كنا نُشيع فيها جنازة
أحبابنا إلى مُستقرِّها!
كل دمعةٍ سقتِ الخدود
وسالت على الآماق
ونحن نهيل التراب على قبورهم
إلا وكان لها نصيبٌ من
الحزن في أفئدتنا!

73

أن تقوم صباحًا صحيحًا فصيحًا

لا تشكو ألمًا

ولا تحمل همًّا

هي واحدةٌ من أفضل

النِّعم عليك

والتي فضّلك ربك بها على

غيرك الكثير مِمّن حُرِموها!

74

وأنت تعيشُ يا صاحبي

وتجولُ الدنيا

شرقًا وغربًا

شمالًا وجنوبًا

تبتغي رزقك

لا تنس أن تجعل لك

لسانا رطبًا بذكرِ الله عزّ وجل

بحمده وتسبيحه وتكبيره...

فتلك هي حياةُ الروح

التي لا غنى عنها!

75

وهل لك يا صاحبي غير ربك؟

الذي:

تمرضُ فتدعوه فيشفيك

وتُكسر فتلوذ به فيجبرك

وتتيه فتلجأ إليه فيرشدك

وتفتقرُ فتسأله فيغنيك

وتهلعُ فتفر إليه فيؤمِّنك

ذاك الذي هو أرحمُ بك من أمّك

فلا تتوانى في طرق بابه

وسؤاله عند كل صغيرةٍ وكبيرة!

76

لا أدري لماذا!

لكن كنا نصير أسعدَ ما يكون

في صغرنا عندما نرى آباءنا

وهم يلِجون المنزل ليلًا

بعد يومٍ طويل من

العناء والمشقة في العمل!

77

في كل واقعةٍ كانت تنزل
بي وأنا أحيا على هاته الأرض
كنت أستحضر دائمًا أن الله عز وجل
لا يبتلي عبدًا إلا ليدفع عنه
ما هو أشدُّ منه بلاء!

78

لا أدري هل نغفل أم نتغافل
عن هذه الدنيا التي ما فتئت
تغرينا بملذّاتها وشهواتها
حتى تستدرجنا إلى تلك الهاوية
التي لا يُرزق النجاة منها
إلا ذو حظٍّ عظيم!

79

أوصِني يا صاحبي

"لن أوصيك إلا بما

أوصي به نفسي يا أُخَي!

أترى تلك الصّلاة التي تؤديها

خمسًا كل يوم وليلة!

عضَّ عليها بنواجذك ولا تفرط

بها أبدًا فهي النجاة لك

في دُنياك وآخرتك"

80

عند ولادتنا يُؤذَّن في أذننا اليمنى

وتُقام الصّلاة في الأذن اليسرى

وعند مماتنا يُصلَّى علينا

إبان دفننا وكأن حياتنا

ما بين إقامةٍ وصلاة!

فإن صلح ما صنع المرء بينهما

فقد فاز تلك المفازة التي يرجوها

كل امرئ مسلمٍ!

وأما إن فسد صنيعه فقد

خابَ خيبةً لا خيبة بعدها!

81

مازال الشّوقُ ينتابني
إلى تلك الأيامِ الجميلة
من مرحلة الطُّفولة حين
كنا لا نحمل همًّا ولا
حزنا في صدورنا!

82

ذاك اليوم الذي عانقت فيه
والدي آخر عناقٍ قبل
أن يُحمل إلى المسجد
لصلاةِ الجنازة انتابني
شعور بالحُزنِ لم أعرفه يومًا
وكأن شيئًا انكسر
في أعماقِ الفؤاد!

83

"مُستراحٌ منه!"

تلك العبارةُ التي

هدَّت فؤادي هدًّا لمّا سمعتها

وهلعت نفسي وأخرجتها عن وعيها!

قيلت في شخصٍ مات

ووُوري الثرى لما جرى

ذكره على ألسنة الناس!

ربِّ ارزقنا حُسن الخاتمة

84

فصلُ الربيع ونفحاته

آهاته وأريج أزهاره

المتفتحة وخضرة حقوله

الجميلة من أجملِ ما يتأمله

المرء على وجهِ هذه الخليقة

85

ناصِحني يا صاحبي!

"إذا همَمت ببذل الخير

فابذُله ذات اليمين وذات الشمال

وكُنْ على يقينٍ أنك ستلقى من

الخير مثل ما بذلته

في دُنياك قبل آخرتك!"

86

يا صاحبي

جالِس أهل العلم

والصّلاح من الناس

يُغنوك عن غيرهم من الخلق

فعلى الأقل إن لم تنتفع من علمهم

نهلتَ شيئًا من أخلاقهم

وطيبوبةِ ديدنهم

87

تسألني فيم أنافسُ الناس
أردُّ عليك بكل يقين:
"نافِسهم في صيامهم
وقيامهم وركوعهم
وسجودهم وصدقاتهم...
وكُنْ أنت دائما سبّاقا
إلى العُلا بينهم
فذاك هو السِّباق الذي
تُرجى مفازته!"

88

مازلت أتذكر ليومنا هذا
ذاك المساءَ الذي ضاقت فيه
بي الدنيا بما رحُبت
فما وجدت نفسي إلا
بين جدران المسجد رافعًا
أكُف الضراعة لربي جلَّ في عُلاه
لتُفتح بعدها أبواب اليُسر
في وجهي على مصارعها
وكأن شيئًا لم يكن!

89

بين ليلةٍ وضُحاها

قد تتقلّب النِّعم إلى نِقم

واليسر إلى عسر

والرخاء إلى شدة

والسعة إلى ضيق

فلا تتماطل في دعاءِ ربك

بثباتِ النِّعم ودوامها!

90

كلما ولجتُ المقابر

ورأيتُ أعداد الناس

الذين ذهبوا إلى ربهم

أيقنتُ أن هذه الدنيا مجرد

بيتٍ من زجاج قد ينكسر

على رأس صاحبه في

أي لحظةٍ من اللّحظات!

91

أن تحيا في هذا الزمان

تتقي الكبائرَ وترجو

أن تكون ممن ينجون بدينهم

إلى ضفةِ الأمان هو شيءٌ

عظيم لا يقدر عليه إلا

ذو إيمانٍ ويقين!

92

وأنت تمضي نحو قممِ
النجاحِ يا صاحبي
لا تلتفت وراءك ولا
تترك تلك العراقيل
تُحبطك وتطفئ
شيئًا من عزيمتك
ولتعلم أن طريق العُلا
كله أشواكٌ وعقابيل!

93

وهل ينبغي للمرء أن

يطلب غير ربه في

قضاءِ حاجاته ومُبتغياته؟

وهل لذي نهيةٍ أن يسأل

بشرًا ويترك سؤال ربِّ البشر؟

94

أيامُ العيد في طفولتنا
تلك الأجواء المُفعمة بالفرح
تلك الحلوى وكؤوس الشاي...
لحظاتٌ عشناها وحُفِرت
في ذاكرتنا وكأنها بالأمس!

95

إذا عِشت يا صاحبي تحبُّ
الخير لغيرك وتذهب في
قضاء حوائجِ الناس
ما استطعت لذلك سبيلا
تُعين محتاجا وتُقوي ضعيفا
وتنصُر مظلوما وتمشي
في دروبِ الحقِّ فقد أمضيت
حياتك وأنت تسعى
على النهجِ الصحيح
ذاك النّهج الذي لا يقدر عليه
غير أولي العزيمة والهمّة من الناس!

96

لطالما أحببتُ أولئك الناس
الذين لا يمرون بك إلا وتركوا
عبق طيبِ أخلاقهم يفوح
وكأنهم وردُ الياسمين
لا يُثقِلون ولا يُستَثقلون!

97

هيا بنا يا صاحبي

إلى أين؟

لنؤمن ساعةً بين يدي

ربنا نتلو كتابه ونتدارسُ آيهُ

ونروي به قلوبًا جفَّت

من قسوة الزمان!

98

إذا ما خلوتَ بنفسك

فحثّتك على اقتراف

كبيرةٍ من الكبائر فذكرها

بأنها إن توارت عن

أعينِ البشر فليس لها

أن تتوارى عن ربِّ البشر!

99

مسراتٌ تليها أحزان

أفراحٌ تتبعها أتراح

رخاءٌ يليه شدة

سعةٌ يواليها ضيق

هكذا هي الدنيا يا صاحبي

فلا تعجب منها ومِن

صنيعها في أهلها!

100

وهل ينسى المرء أحباءَه

صَحبه وخلانه...

من شاطرهم المسكن

والمأكل والمشرب.... ذات يوم!

وهم من دخلوا أعماق فؤادِه

دون إذنٍ وتركوا فيه شيئًا

من أريجهم الذي لا يرحلُ

مهما طال الزمان!

خاتمة

ويبقى أريجُ تلك الخواطرِ

يسعى بين دروبِ قلوبنا

وينثر شيئًا من عبقه الطيِّبِ الذي لا

يترك مكانًا إلا أودع فيه

ذكرى لا يمكن نسيانُها!

جميعُ الحقوقِ محفوظَة

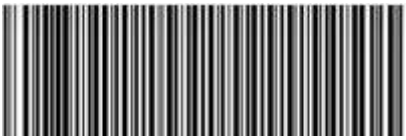

د. عمر الكرمة

طبيب أسنان

مؤلف كتاب: "ترانيم الخريف"

كاتب ومدون مغربي

ومِن بين ثنايا الفؤادِ وزواياه المظلمة

انبثقت تلك الخواطر الأخّاذة التي تحمل

المرء على التدبّر والتأمل في هذا الملكوتِ العجيب

وكيف لا وهو من صُنع رب العالمين!